

الفصل الثاني

العمل التطوعي: ماهيته، وأهميته، ودوره في بناء شخصية الصغار

وقد اشتمل هذا الفصل على تمهيد، وثلاثة مباحث.

المبحث الأول: ماهية العمل التطوعي

المبحث الثاني: أهمية العمل التطوعي

المبحث الثالث: دور العمل التطوعي في بناء شخصية الصغار

٢،١ التمهيد

لا شك في أن النفس البشرية فطرت على حب الخير والسعي لتحصيله، حيث قال تعالى على لسان نبيه الكريم ﷺ: ﴿.. وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^{٢٠٠}، وهي ذات نزعة اجتماعية تهيّب الوحدة، وتميل إلى الاجتماع والتشارك مع الآخر من أجل بناء مجتمع متالف ومترابط، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^{٢٠١}، وهذه النزعة الاجتماعية تدفع الإنسان إلى التواصل الذي يعدّ جوهر العلاقات الإنسانية ودافع تطورها، ثم التعاون فيما بينه وبين الآخرين لتحقيق مصلحة فردية، ومصلحة اجتماعية، مما يسهم في توسيع العلاقات الإنسانية وتقوية أواصرها في المجتمع. ولكي يتم ذلك التواصل المحمود لا بد من البذل الذي يتخذ أشكالاً متعددة وفي ظروف مختلفة، فيتنوع من بذل المال إلى بذل الوقت والجهد، ويتعدى ذلك إلى بذل الفكر، بل وحتى بذل المشاعر دونما انتظار لأجر أو مقابل، وهنا تتجلى طبيعة النفس البشرية في أرقى صورها، وأكرم معانيها حينما تُبادر بالعطاء اللامحدود طواعية وبدون قيود. إن غرساً كهذا لن يؤتي أكله ما لم يتم نثر بذوره في نفوس الأبناء منذ الصغر مع تعاهده وتأكيد ليتجدد فيهم من خلال مرحلة الدراسة الأولى.

ولمزيد من الإيضاح فسيتم التطرق في هذا الفصل إلى التعريف بماهية العمل التطوعي وجوهره، ومنطلقاته، وما إذا كان يسير على نمط واحد في كل المجتمعات أم أن هناك عوامل تحكمه، وتؤثر فيه قوة وضعفاً، كمّاً ونوعاً، وتدعو إليه مدأً وانحساراً، وهل نمة علاقة تربطه بالعمل الخيري أم أن كليهما يُعبران

٢٠٠ القرآن. الأعراف: ٧: ١٨٨.

٢٠١ القرآن. الحجرات: ٤٩: ١٣.

عن مفهوم واحد. ثمّ سيتمّ استعراض الآثار التي تترتب على تفعيل العمل التطوعيّ أو تجاهله، من حيث انعكاساته على الفرد فكراً وسلوكاً على المستوى الشّخصيّ والنّفسيّ والاجتماعيّ، وكذلك انعكاساته على المجتمع ومؤسساته على الصّعيد الاقتصاديّ، والتّعليميّ، والصّحيّ، وغيرها من نواحي الحياة المختلفة. ثمّ سيتطرّق هذا الفصل إلى الحديث عن العنصر الأهمّ الذي من أجله بُيّت هذه الدّراسة وهم الصّغار، وكيف لمفهوم قيمة التّطوّع أن تُؤثّر في تكوين شخصيّاتهم فكراً ووجداناً، وتُسهم في اكتشاف ملكاتهم، وتُنمّي مهاراتهم.

٢،٢ المبحث الأوّل: ماهيّة العمل التطوعيّ

جاءت تعريفات العمل التطوعيّ^{٢٠٢} بصياغاتٍ مختلفةٍ إلاّ أنّ جوهرها كما تبينّ للباحثة لا يخرج عن التركيز على أمرين اثنين يتلخّصان في: بذل الفرد المتطوّع ما يستطيع من مساعدةٍ طواعيةً دون إجبار، بل عن رضا وقناعةٍ، والأمر الثّاني أنّه يُقدّم تلك المساعدة دون انتظار مقابلٍ من الطّرف الآخر بأيّ شكلٍ كان، سواء في صورة مكافأةٍ ماليةٍ، أو ماديةٍ، أو معنويةٍ بقصد الإسهام في مصالحٍ معتبرةٍ تخدّم الآخر، هذا ما عبّر عنه الكاتب جون ويلسون^{٢٠٣} بقوله: " التّطوّع هو أيّ نشاطٍ يُنفَق فيه الوقت مجّاناً لمنفعةٍ طرفٍ آخر فرداً كان أو جماعةً أو غير ذلك".

عند التطرّق لمفهوم التّطوّع بصورةٍ أوسعٍ وأعمقٍ للتّعريف على ماهيّته، وطبيعته، وجوهره تتّسع المسألة لتضيف أبعاداً أخرى تتعدّى الممارسات التّقليديّة التي يقوم بها المتطوّع عادةً لمساعدة الآخرين في أوقات الشّدة، أو عند وقوع الكوارث الطّبيعيّة والاجتماعيّة، والافتقار على استهداف الفئات المستضعفة مثل

^{٢٠٢} انظر ص. ٩٨، من هذه الدّراسة.

^{٢٠٣} John Wilson. ٢٠٠٠. "Volunteering". *Annual Review of Sociology*. Vol. ٢٦. August. P٢١٥-٢٤٠.

ذوي الاحتياجات الخاصة، والفقراء والأرامل والمشردين، حيث تتجلى من خلاله مساهمة الأفراد في أعمال الرعاية والتنمية الاجتماعية والتعليمية والثقافية، سواء بالرأي، أو بالعمل، أو بالتمويل، أو غير ذلك من الأشكال.

إنَّ العمل التطوعيّ أو ما يُسمّى حديثاً في أدبيّات التنمية "رأس المال الاجتماعيّ" هو ثروة عامّة وليست حكراً على أحدٍ^{٢٠٤}، وهذه التسمية تُشير إلى " قدرة الأفراد على العمل سوياً داخل شبكاتٍ للعلاقات المشتركة بالشكل الذي يُسهّل الفعل الجماعي لمواجهة المشكلات التي قد تعترض هؤلاء الأفراد في سياق حركتهم داخل المجتمع"^{٢٠٥}. وقد مورس العمل التطوعيّ على المستوى الفرديّ، وعلى المستوى المؤسسيّ، حيث ساهمت القيم الاجتماعية، وخاصّةً الدّينية المتجدّرة والمتعمّقة في المجتمع العربيّ والإسلامي في تعميق روح العمل التطوعيّ، بل إنّ الإسلام أكّد على أهميّة العمل التطوعيّ، وحثّ الإنسان عليه، ورعّبّه في مدّ يد العون لأخيه الإنسان، جاء ذلك في أكثر من موضعٍ في القرآن الكريم، منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿.. وَعَاقِبِ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ... أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١١٠﴾^{٢٠٦}، وقوله تعالى: ﴿.. مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتُلوْنَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٣٠﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣١﴾^{٢٠٧}، وأكّدته السّنة النبويّة الشريفة في مناسباتٍ

^{٢٠٤} محمّد هشام أبو القمبز، ٢٠٠٦/٢٠٠٧. "جدّد شبابك بالتطوع". <http://www.saaaid.net/>.

^{٢٠٥} حسني إبراهيم عبد العظيم وحسام جابر أحمد. ٢٠١٣م. دُور العمل التطوعيّ في تنمية رأس المال الاجتماعي للمرأة - دراسة ميدانية على عينة من المشاركات في العمل الاجتماعي بمحافظة بني سويف. مجلة كلية الآداب- جامعة بني سويف. العدد ٢٧. إبريل. ص. ٥٤٤.

^{٢٠٦} القرآن. البقرة ٢: ١٧٧.

^{٢٠٧} القرآن. آل عمران ٣: ١١٣-١١٤.

عدة، وأحاديث كثيرة، منها على سبيل المثال قوله ﷺ: " مَنْ سَرَهُ أَنْ يُنَجِّهَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيَتَّقِ عَن مَّعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ"^{٢٠٨}، وزخر به تاريخ الأمة الإسلامية على امتداد العصور.

يختلف العمل التطوعي باختلاف المجتمعات تبعاً لطبيعة احتياجات كل مجتمع^{٢٠٩}، وتبعاً للظروف التي يمرّ بها، حيث يتكاثف في وقت الحروب، وفي فترات الكوارث والتكبات طبيعية كانت أو اجتماعية^{٢١٠}، في حين يقلّ في فترات الاستقرار والهدوء. كما تتنوع الدوافع التي تُبرزه، فقد يُمارس بسبب دوافع نفسية أو اجتماعية أو سياسية. وهذه الدوافع تختلف أيضاً بين الدول المتقدمة والدول النامية، حيث يُعدّ الوعي بين مكونات المجتمع بحاجات المجتمع، ورغبة النجاح في التواصل والتعامل مع الآخرين من أهمّ الدوافع للعمل التطوعي في الدول المتقدمة، بينما تتأثر المشاركة التطوعية في الدول النامية بالموروث القيمي الديني، والثقافي لدى المتطوع إضافة إلى قدر الفائدة التي يجنيها.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه يمكن التمييز بين شكليّن من أشكال العمل التطوعي^{٢١١}، أحدهما يتمثّل في السلوك التطوعي الذي يمارسه الفرد بصورة تلقائية استجابةً لوضع طارئٍ تعبيراً عما يكتنزه في نفسه من مبادئ أخلاقية، وقيم إنسانية اكتسبها بدافع الدين، أو العرف المجتمعي. أمّا الشكل الآخر للعمل التطوعي فهو أوسع من مجرد استجابة لظرف طارئٍ، أو حاجة عابرة، إذ إنّه رغبة دائمة، وهاجس أصيلٍ يعتمل في ضمير ووجدان الفرد كلّ حينٍ، حيث يحرص على تقديم الخير والنفع للآخر أفراداً، أو جماعاتٍ، في كل

^{٢٠٨} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب المساقاة. باب فضل إنظار المُعسر. ج. ٣: ١١٩٦. رقم الحديث ١٥٦٣.

^{٢٠٩} خليل نزيهة. ٢٠١٥/٢٠١٦م. معوقات العمل التطوعي في المجتمع المدني - دراسة ميدانية للجمعيات الخيرية بمدينة بسكرة. (رسالة دكتوراة). جامعة محمد خيضر-بسكرة-الجزائر. ص. ١٤.

^{٢١٠} المصدر نفسه. ص. ٨٣.

^{٢١١} هيام المفلح. ٢٤ مارس ٢٠٠٧. "ثقافة التطوع في مجتمعنا. ضرورات تحتاج إلى تفعيل". الرياض. العدد ١٤١٥٢.

موقفٍ يَعْرِضُ له، ويقتنص كل فرصةٍ سانحةٍ ليتحدّث عن إيمانه بفكرةٍ يرى فيها صلاحاً ونفعاً لآخر، أو تقوياً لاعوجاجٍ يتجاهله الآخرون بحجة أنه لا يعينهم.

تتأثر قوّة وفاعليّة العمل التطوّعيّ بعواملٍ مختلفةٍ، منها ما هو متعلّق بالعنصر البشري كالعمر والجِنس والعرق ومقدار فهم الذات، ومنها ما هو متعلّق بالموارد المجتمعيّة والتي يُقصد بها نمط العلاقات، وقوّة الرّوابط بين الأفراد، إذ إنّها تلعب دوراً كبيراً في ترابط المجتمع^{٢١٢}.

يُعدّ التطوّع صورةً من صُور التّفاعّل المجتمعي، وركيزةً أساسيَّةً من ركائز بنيانه، وأحد أهمّ السُّبل لنهضته وارتقائه^{٢١٣}، ولأنّه يتباين من حيث الشدّة والأثر ضمن المجتمع الواحد، وبين مجتمعٍ وآخر فقد كان محلّ بحثٍ ودراسةٍ، ووُضعت نظرياتٌ عدّة لفهم طبيعته والعوامل المؤثّرة فيه سلّماً وإيجاباً. ويمكن وصف وتقسيم النّظريات التي تشرح العمل التطوّعيّ اعتماداً على السّمات الشّخصيّة للأفراد إلى قسمين^{٢١٤}: نظرياتٌ تؤكّد الدوافع الدّاتيّة، وفهم الذات من ناحيةٍ، ونظرياتٌ تؤكّد على فهم طبيعة السلوك الاجتماعيّ والاقتصاديّ للإنسان فيما يُسمّى بالعمل النّسبي أو التّفاضليّ، حيث يتمّ اتّخاذ القرار المناسب من بين عددٍ من الخيارات المتاحة إمّا بناءً على المفاضلة بين جودة تلك الخيارات، أو التّنبؤ بمدى الفائدة المعنويّة والاقتصاديّة المأمولة من كل خيار.

عند الدّخول إلى عالم ما كُتب عن العمل التطوّعيّ من مؤلّفاتٍ ورسائلٍ ومقالاتٍ على اختلاف أنواعها يبرز مصطلح العمل الخيريّ وقد التبس أحدهما بالآخر ممّا جعل التّساؤل الآتي يطرح نفسه: هل يوجد فرقٌ بين مصطلح العمل التطوّعيّ ومصطلح العمل الخيريّ؟

^{٢١٢} Encyclopedia of Sociology. "Social Resources Theory".

<https://www.encyclopedia.com/social-sciences/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/social-resources-theory> COPYRIGHT ٢٠٠١ The Gale Group Inc.

^{٢١٣} نجلاء سيد حسين. ٢٠١٤م. "العمل التطوّعي وأثره على القدرات الإدارية لدى الشّباب". مجلة بحوث التّربيّة الزراعيّة. العدد ٣٣. يناير. ص. ١٦٣٣-١٦٧٣.

^{٢١٤} John Wilson. ٢٠٠٠. "Volunteering". *Annual Review of Sociology*. Vol. ٢٦. August. P٢١٥-٢٤٠.

للإجابة عن هذا السؤال لا بد من التعرف أولاً على المقصود بالعمل الخيري. يُطلق مصطلح العمل الخيري ويُراد به: " العمل الذي لا يعتمد على تحقيق أيّ مردودٍ ماديٍّ أو أرباحٍ؛ بل يعتمد على تقديم مجموعةٍ من الخدمات الإنسانية للأفراد المحتاجين لها، ويُعرف أيضاً بأنه قيام مجموعةٍ من الأفراد، والجمعيات، والمؤسسات بتقديم الدعم والمساعدة للأشخاص ذوي الحاجات المختلفة، من طعام، ودواء، ومأوى، وغيرها"^{٢١٥}.

والتعريف السابق تعريفٌ عامٌ يغفل عن مسألةٍ دقيقةٍ تناولها منظومة الفكر الإسلامي في تعريفها للعمل الخيري، ذلك أنّ كلمة الخير لها مدلولٌ خاصٌ، وقد أشار الدكتور القرضاوي في تعريفه للعمل الخيري بأن المراد به هو: " النفع الماديّ أو المعنويّ الذي يُقدّمه الإنسان لغيره من دون أن يأخذ عليه مقابلاً مادياً، ولكن ليحقق هدفاً خاصاً له أكبر من المقابل الماديّ، قد يكون عند بعض الناس الحصول على الثناء والشهرة، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا، والمؤمن يفعل ذلك لأغراضٍ تتعلّق بالآخرة"^{٢١٦}، فعَدَّ العمل الخيريّ من المقاصد الأساسية لشريعة الإسلام^{٢١٧}.

إنّ إغفال معنى الخيرية التي تُشير إليها مقاصد الشريعة الإسلامية في فهم مصطلح العمل الخيريّ أوقع كثيراً من الباحثين والمهتمين بالعمل التطوعيّ في خطأٍ منهجيٍّ حين اعتبروا أنّ العمل التطوعيّ والعمل الخيريّ وجهان لمفهوم واحد، في حين أنّه يجب التفريق بينهما دون إنكار الصلّة، حيث إنّ الأوّل أعمّ وأكثر شمولاً من الثّاني، فالعمل الخيريّ هو أحد أركان العمل التطوعيّ^{٢١٨}، إذ قد يتطوَّع الإنسان بعملٍ ما، لكنّه لا يدخل في الخيرية كمفهومٍ شرعيّ، لأنّ العمل الخيريّ وتطبيقاته محصورةٌ فيما حثّت عليه الشريعة

^{٢١٥} مجد خضر. ٥ ابريل ٢٠١٦. "العمل الخيري". موضوع. العمل الخيري <https://mawdoor.com>

^{٢١٦} يوسف القرضاوي. ٢٠٠٧. أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية. دار الشروق. ٢١.

^{٢١٧} المصدر نفسه.

^{٢١٨} عبد الله باجهام. ٨ مايو ٢٠١٣. "الفرق بين العمل التطوعي والعمل الخيري". مجلة أحقاف اليوم.

<http://ahgafatoday.com/new/?p=٨٦٤٩>

الإسلامية من تقديم العون، والإحسان لجنس الإنسان عامةً، وللمسلم خاصةً، والعناية بالحيوان والبيئة وغيرها^{٢١٩}.

وبناءً على ما تقدّم، وبعد استقراء كمّ مما كتبت عن مصطلحي العمل التطوعي والعمل الخيري، ولفكّ التداخل في فهمهما، يمكن للباحثة القول: إنّ وجه الارتباط بينهما ووجه الاختلاف يرتبط بالزاوية التي يُنظر من خلالها للأمر، فإنّ تمّ النظر من زاوية استعداد الفرد ورغبته في تقديم المساعدة المحضة المجردة لمساندة الآخر فإنّ المصطلحين يتفقان. وإنّ كانت زاوية النظر من خلال طبيعة المساعدة أو المنفعة المقدّمة فإنّ المصطلحين ينفكّان ويفترقان، إذ قد يتطوّر المرء لتقديم المساعدة في عمل لا يكون خيرياً، فالعمل الخيري في المنظور الإسلامي يقتصر على ما حثّ عليه الشّارع سبحانه، قال تعالى: ﴿.. وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢٢٠﴾، ويمكن اعتبار إمكانية حصول باذل الخدمة على مردودٍ ماديٍّ أو اجتماعيٍّ زاويةً ثالثةً يمكن النظر من خلالها توضّح انفكّاك المصطلحين، فالمتطوّر يُقدّم على بذل المساعدة دون توقّع شيءٍ من ذلك، بينما مظلة العمل الخيريّ تحتل الأمرين معاً، ومثال ذلك ما ورد في شأن الزكاة التي تُعدّ لوناً من ألوان العمل الخيريّ، حيث بيّنت الآية الكريمة من سورة التوبة أحقيّة فئة العاملين على جمع أموال الزكاة ممّن وجبت عليهم بالحصول على الأجر نظير عملهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالتَّسْكِينِ وَالتَّعْمَلِينَ عَلَيْهَا وَالتَّوَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالتَّغْرِيْمِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٢١﴾. وجاء في كتب التفسير أنّ المقصود بالصدقات في الآية الزكوات الواجبة^{٢٢٢} فتُصرف في الوجوه التي حدّتها الآية، وإنّ كان البعض

^{٢١٩} أمّن الغامدي. ٦ يوليو ٢٠١٢. "قراءة في واقع العمل الخيري". مجلة الإسلام اليوم. الرياض. العدد ٨٢.

^{٢٢٠} القرآن. المائدة ٥: ٢.

^{٢٢١} القرآن. التوبة ٩: ٦٠.

^{٢٢٢} السعدي. ٢٠٠٠م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٣٤١.

يقول ليس هناك ما يمنع من أن تُصرف كل أنواع الصدقات في هذه الوجوه سواء ما كان منها فريضةً كالزكاة، أو إنفاق التطوع في وجوه الخير كالإحسان إلى الفقراء^{٢٢٣}، وأما "العاملين عليها" فهم السعاة والجبأة الذين يبعثهم الإمام لقبض أموال الصدقات من أهلها، ووضعها في مستحقيها، فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا أو أغنياء^{٢٢٤}، فهم يقومون بعملٍ يستحقون عليه أجرًا بحسب جهدهم^{٢٢٥} كما نصَّ بعض العلماء.

وستقوم الباحثة في السطور القادمة بإيجاز مواطن الاتفاق والاختلاف بين العمل التطوعي والعمل الخيري على النحو الآتي:

أ- مواضع الاتفاق تكمن في:

- كونهما من حيث المبدأ يتمتعان بالمشروعية الشرعية، حيث ورد كلا اللفظين في القرآن الكريم، مع التأكيد على شرط انضباط العمل الخيري بالمقاصد الشرعية.
- تولدهما في النفس عن قناعة ورغبة، فكلاهما عملٌ اختياريٌّ لا إكراه فيه ولا إجبار.
- شمولية الفائدة حيث تتعدّد الأطراف المستفيدة من كلا العملين: الإنسان، والحيوان، والنبات، والبيئة.
- حجم العمل: قد يكون محدوداً صغيراً، وقد يتسع ليكون مظلةً كبيرةً.
- إسهامهما في تعزيز الروابط الإنسانية، والأخوية، والتكافلية مما يُسهم في جعل المجتمع أكثر استقراراً.

^{٢٢٣} الخطيب، عبد الكريم يونس. د. ت. التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي. ج. ٥. ص. ٨٠٧.

^{٢٢٤} الطبري. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ١١. ص. ٥١٦. الرازي. ١٤٢٠ هـ. مفاتيح الغيب. ج. ١٦٠. ص. ٨٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي. ١٩٩٩ م. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الطبعة الثانية. د. م. دار طيبة للنشر والتوزيع. ج. ٤. ص. ١٦٧.

^{٢٢٥} البغوي. ١٤٢٠ هـ. تفسير البغوي - إحياء التراث. ج. ٢. ص. ٣٦١. الرازي. ١٤٢٠ هـ. مفاتيح الغيب. ج. ١٦٠. ص. ٨٥.

- إمكانية استثمار الطاقات الفردية والجماعية لصالح النفع العام.

ب- مواضع الاختلاف تكمن في:

- كَوْنُ العمل التَّطَوُّعِيِّ بَوَاجِهٍ عَامٍّ أَوْسَعٍ وَأَشْمَلٍ مِنَ العمل الخيريِّ، إذ إِنَّ الأوَّلَ قد يكون في جانب

الخير، وهناك من يَتَطَوَّعُ في جانب الشَّرِّ، وسيتمَّ لاحقاً بيان ذلك بمزيدٍ من الإيضاح^{٢٢٦}.

- اختصاص العمل التَّطَوُّعِيِّ بفِعْلِ الزِّيَادَةِ في الطَّاعَاتِ المندوبة مثل حُسْنِ الخُلُقِ، أو تلك التي من

حِنْسِ العباداتِ المفروضة كنفال الصَّلواتِ والصِّيَامِ وغيرها، في حين أَنَّ العمل الخيري يشمل كلَّ

عملٍ وافق الشَّرْعَ من واجباتٍ أو مندوباتٍ^{٢٢٧}، لأنَّ الأمر بفِعْلِ الخير جاء عاماً في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٧٧)^{٢٢٨}.

وفي هذه الجزئية يكون العمل الخيريِّ أعمَّ من العمل التَّطَوُّعِيِّ، وإنَّ كان بعض العلماء^{٢٢٩} من

حمل تفسير كلمة الخير التي وردت في الآية على المندوب في الطَّاعَاتِ دون الواجبات.

- لا يُطْلَقُ وَصْفُ (مَتَطَوَّعٍ) على مَنْ نوى التَّطَوُّعَ بقلبه، ولم يسعَ لترجمته إلى عملٍ، وذلك انسجاماً

مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ

كَاتِبُونَ﴾^(٩٤)^{٢٣٠}، في حين أنَّ مَجْرَدَ النِّيَّةِ لعملٍ أمرٌ خيرٌ يُنَابِ عليها صاحبها وإنَّ لم يُترجم النِّيَّةُ

إلى عملٍ كما جاء في الحديث الشَّريف الذي يرويه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحُسْنَاتِ

^{٢٢٦} انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

^{٢٢٧} الشوكاني. ١٤١٤هـ. فتح القدير. ج. ٣. ص. ٥٥٦. السعدي. ٢٠٠٠م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٥٤٦.

الخطيب. د.ت. التفسير القرآني للقرآن. ج. ٩. ص. ١١٠٤.

^{٢٢٨} القرآن. الحج: ٢٢: ٧٧.

^{٢٢٩} القرطبي. ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). ج. ١٢. ص. ٩٨. البيضاوي. ١٤١٨هـ. أنوار التنزيل وأسرار

التأويل. ج. ٤. ص. ٨٠.

^{٢٣٠} القرآن. الأنبياء: ٢١: ٩٤.

وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمٌّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمٌّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً^{٢٣١}.

- قد يتحصّل المنخرط في الأعمال الخيريّة على بعض الأجرة، وإن كان أساس مقصوده هو التقرب إلى الله تعالى، في حين أنّ المتطوع لله لا يتحصّل على أيّ نوع من الأجر سوى من الله عزّ وجلّ.

٢،٣ المبحث الثاني: أهميّة العمل التطوّعيّ

قد ينظر البعض إلى العمل التطوّعيّ نظرة هامشيّة لا ترقى إلى مستوى الفهم الحقيقي لأهمّيته وآثاره الشمولية. إنّ إدراك أهميّة عمل ما، وبالتالي إيقاظ الوعي تجاهه يقود إلى سرعة تبنيه والدعوة إليه، ومن ثمّ تفعيله، ورصد كلّ الإمكانيات المتاحة لترسيخه، وإنجاحه للتمتع بطيب آثاره، إذ يتعثر المجتمع، بل ويتعدّر عليه أن ينعم بالاستقرار والأمن فضلاً عن ارتقاء سُلّم التقدّم إن غفل أهله عن استثمار إمكانياته الماديّة، وطاقاته البشريّة بكلّ فئاتها وفق إطارٍ علميّ موضوعيّ لصون كرامة الإنسان، وتلبية احتياجاته، وتطوير رؤاه المستقبلية. ورغم أنّ منطقتنا العربية غنيّة بالموارد الطبيعيّة والثروة البشريّة إلاّ أنّه - وللأسف - لا ترقى فيها برامج التّمنية الإنسانيّة لمستوى غناها حسماً وردّ في تقريرٍ حول التّمنية العربيّة الإنسانيّة ضمن برنامج الأمم المتّحدة الإنمائيّ^{٢٣٢}. ولعلّ السّطور الآتية تسلّط الصّوّء بشيءٍ من الإيجاز على أهميّة العمل التطوّعيّ،

^{٢٣١} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب من همّ بحسنة أو بسية. ج. ١٠٣:٨. رقم الحديث ٦٤٩١. مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب إذا همّ العبد بحسنة كُتبت، وإذا همّ بسية لم تُكْتَب. ج. ١: ١١٨. رقم الحديث ١٣١. واللفظ للبخاري. ^{٢٣٢} منتصر علام مُحمّد علام. ٢٠١٦-٠٤-٠١. "الدور التنموي لمشاركة الشّباب في العمل الخيري". مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام.

وآثاره الممتدة التي تُلقَى بظلالها، وتخطُّ برحالها على مرافئ عديدةٍ تشمل الصِّحة النَّفسِيَّة للأفراد، والصِّحة المجتمعية، والثَّقافة العامَّة وجوانب التَّنمية على مختلف الأصعدة.

يحمل مسؤولِيَّة النَّهوض بالمجتمعات قِطاعان هما: القطاع الرَّسمي الحكوميِّ بالدرجة الأساس، ويليه القطاع الخاصَّ الأهليُّ الذي يقع على عاتقه جزءٌ مهمٌّ من تحمُّل المسؤولِيَّة المجتمعيَّة لتنفيذ برامج التَّنمية، وتقديم الخدمات اللازمة لتحقيق نُهضةٍ شموليَّةٍ، فإذا أُضيف إليهما قطاعٌ ثالثٌ هو قطاع العمل الخيريِّ الذي يُعدُّ رُكنًا من أركان العمل التَّطوعيِّ، فإنَّ منظومة العمل الجادَّ لدفع عجلة التَّنمية^{٢٣٣} في المجتمع تكتمل، ويصير تحقيق الاستقرار والأمن والرِّفاه للمجتمع أمراً قريب المنال. لذلك تهتمُّ الدَّول المتقدِّمة بالعمل التَّطوعيِّ وبالمبادرات المحسَّنة له، وتقوم حكوماتها بتقديم كلِّ دعمٍ ممكنٍ لترسيخ هذه الثَّقافة، ورفع درجة الوعي به، فتحصد زيادةً في النَّمو من خلال مشاركة المواطنين في الأعمال التَّطوعيَّة المختلفة^{٢٣٤}.

تتجلَّى أهمِّيَّة العمل التَّطوعيِّ من خلال الآثار المترتِّبة على تطبيقه والعمل به لتتضح على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع.

١،٣،٢ أهمِّيَّة العمل التَّطوعيِّ بالنسبة للفرد

حين يُمارِس الفرد العمل التَّطوعيِّ برغبةٍ ذاتيةٍ، وعن قناعةٍ ورضا انطلقاً من اعتباراتٍ إنسانيَّةٍ، أو مبادئ أخلاقيَّةٍ، أو دوافع دينيَّةٍ، أو حاجةٍ مجتمعيَّةٍ تستحثُّه وتطلبه فإنَّه بذلك يتخلَّى عن صفة الأنايَّة^{٢٣٥} الممقوتة التي تركز على الذات، وتُهمِّش الاهتمام بالأخر، وهذا يجعله أكثر استعداداً لمدِّ جسور التَّعاون مع

^{٢٣٣} المصدر نفسه.

^{٢٣٤} المصدر نفسه.

^{٢٣٥} مُحَمَّد البكوري. يناير ٢٠١٦. "المجتمع المدني والفعل التَّطوعي: بعض سياقات الترابط". دار ناشري للنشر الالكتروني. المجتمع-المدني-

والفعل-التَّطوعي-بعض-سياقات-الترابط-٢

الآخرين، وأكثر انفتاحاً لتقبلهم على اختلاف مشاربهم، وأعرافهم، ولغاتهم، ومعتقداتهم، بل قد يتطوّر الأمر لديه بحيث يصل لمرحلة الإيثار، نظراً للأثر الإيجابي، وبصمة الرحمة التي يتركها فعله في نفوس الآخرين. يُضفي العمل التطوعيّ على نفس فاعله مشاعر إيجابية كتحقيق الذات واحترامها، وتقدير ما لديه من قدرات ومقدّرات، ممّا يزيد في دافعيّته للبحث والتطوير، وتحصيل مزيدٍ من العِلْمِ النَّافع لرفع مستوى الكفاءة في تقديم الخدمات، بل إنّ ممارسة العمل التطوعيّ تجعل الفرد منهكاً في أعمالٍ تعود عليه وعلى الآخرين بالنفع، فتشغل عليه فراغ الأوقات، وتقلّص من انخراطه في سلوكياتٍ منحرفة^{٢٣٦}، أو عدائيّة، أو الاسترسال في النظرة التشاؤميّة، وتحبسه عن التفكير في الفساد والإفساد، والانغماس في المملّات، وتصلق ما لديه من مهارات، وتوجّه ما لديه من طاقات نحو الاستثمار على طريق الإبداع وسمو الغايات، فيشعر بذلك أنّه ذو نفع في الحياة وله تأثير، وله أهداف، وأنه قادرٌ على اكتساب محبّة الآخرين، وجديرٌ بالتقدير والاحترام ممّا يحفّز لديه شعور الانتماء للمجتمع^{٢٣٧}، وهذه الأمور تُعدّ من متطلّبات التفاعل الإيجابي مع الحياة في عصرٍ طغّت فيه الماديات، وتطوّرت التقنيات، وتقدّمت التكنولوجيا ووسائل الاتصال بدرجّة حرّمت النَّاس من إحساسهم بالفاعليّة^{٢٣٨}، فكأن التّطوُّع يُعيد التوازن لتفاعل الإنسان مع أخيه الإنسان، فتزداد الخبرات مع تنوع الثقافات. وقد أثبتت دراساتٌ علميّةٌ حديثةٌ مختصّةٌ بالطب النفسيّ أنّ قدرات الدِّماغ تتعزّز مع تقدّم الإنسان في السنّ إذا كان ممن اعتاد على ممارسة العمل التطوعيّ ولو بدأه في مرحلةٍ متقدّمةٍ من العُمُر، لأنّه يساعد على إبطاء تراجع القُدرة الدّهنيّة، وعلى خفّض نسبة الإصابة بالخرف

^{٢٣٦} محمّد هشام أبو القمبز. ٢٠٠٦/٢٠٠٧. "جدّد شبابك بالتطوُّع".

[/http://www.saaid.net](http://www.saaid.net)

^{٢٣٧} ميسون ظاهر رشاد. ٢٠١٨. "العمل التطوعي لدى طلبة كلية التربية الأساسية". مجلة البحوث التربوية والنفسية. العدد ٥٦. ص ٤١٤.

<https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=١٤١١٥٤>

^{٢٣٨} عازة عمر بو غندوره. ٢٠١٧. "مشاركة المرأة الليبية في العمل التطوعي - دراسة تحليلية". مجلة العلوم والدراسات الإنسانية. المرح:

جامعة بن غازي. العدد الثامن. ص ٢.

مقارنةً بأولئك الذين لا يمارسون العمل التطوعي^{٢٣٩}. وأيضاً يتمتع القلب بحالةٍ صحيّةٍ جيّدةٍ، وتنخفض نسبة الإصابة بضغط الدّم المرتفع بنسبة ٤٠٪ عند أولئك الذين يمارسون العمل التطوعيّ بشكلٍ دوريّ بما لا يقلّ عن مئتي ساعةٍ سنوياً مقارنةً بمن لا يمارسونه^{٢٤٠}.

كما أنّ ممارسة العمل التطوعيّ من منطلقٍ إيمانيّ تُعدّ عبادةً يتقرب بها العبد إلى الله عزّ وجلّ لنيل رضاه، فيشعر بطمأنينةٍ، وراحةٍ نفسيّةٍ تدفعه نحو مزيدٍ من العطاء، وتجعله أكثر حرصاً على الإتيان والإحسان عند الأداء، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^{٢٤١}.

يُلاحظ مما تقدّم عرضه أهميّة العمل التطوعيّ بالنسبة للفرد من خلال الآثار المترتبة على ممارسته، حيث تغطّي جوانب عدّة تشمل الصّحة النّفسيّة، والفكريّة والبدنيّة والإيمانيّة، وهذه الجوانب تتكامل فيها الشّخصيّة الإنسانيّة لتتوازن في مواجهة ظروف الحياة المتقلّبة.

٢،٣،٢ أهميّة العمل التطوعيّ بالنسبة للمجتمع

يُقاس رُقيّ المجتمعات ومدى تحضّرها بمقدار ما تحمل من مبادئ تجسّد روح الإنسانيّة كمنطلقاتٍ تُبنى عليها حياةٌ كريمةٌ للأفراد^{٢٤٢}، ولأنّ الإنسان اجتماعيٌّ بطبعه فإنّه يصعب عليه العيش خارج حدود

^{٢٣٩} Yannic Griep & Others. 16 March 2007. "Dementia and senior volunteering". *PLOS ONE*. <https://doi.org/10.1371/journal.pone.0173880>

^{٢٤٠} Beth Levine. (٠٦/٢٥/٢٠١٣). "Blood Pressure and Volunteering". *The Baseline of Health Foundation*. <https://jonbarron.org/natural-heart-health/blood-pressure-and-volunteering>

^{٢٤١} القرآن. النّساء: ٤: ١١٤.

^{٢٤٢} محمّد البكوري. يناير ٢٠١٦. "المجتمع المدني والفعل التطوعي: بعض سياقات الترابط". دار ناشري للنشر الإلكتروني. ٥٩١٥-المجتمع-

المدني-والفعل-التطوعي-بعض-سياقات-الترابط-٢

<http://www.nashiri.net/index.php/articles/intellect-and-philosophy/٥٩١٥>

مجتمعه، وبالتالي يكون المجتمع هو الحاضن لأفراده جميعاً بمختلف توجهاتهم، وطاقاتهم، وقدراتهم، وخبراتهم ومهاراتهم، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً. وبقدرة اهتمام المجتمع بمن يحتضنهم كأفرادٍ أو كمؤسساتٍ يتدرج نموه ويتولى تقدمه. ومجال التطوع تربة خصبة لاستثمار تلك الجهود والطاقات على طريق التنمية والازدهار^{٢٤٣}، ويُعتبر قوةً فاعلةً تُعين الحكومات والقطاع الخاص في تحقيق مصالح تعدد عليهما تحقيقها أو تصعب ربما بسبب محدودية الإمكانيات المادية أو اللوجستية أو غيرها من العوائق.

حين يُفتح باب التطوع في المجتمع على مصراعيه تزيد الفرص، وتتوسع الخيارات، وتنمو الحريات، ويزداد الوعي، ويتقلص حجم الحرمان، وتتوسع الأنشطة في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية، والصحية، والتعليمية. وهذا ما يدعو مكونات المجتمع إلى العمل بصورة تكافلية^{٢٤٤} وفق خطط وبرامج مدروسة تُسهم في تعزيز روابط التراحم، والتآزر، والتضامن بين مكوناته^{٢٤٥} كما قال ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه"^{٢٤٦}، ويُعزز الشعور بالانتماء، ويرفع مستوى شعور المواطنة الحقة^{٢٤٧}، كما يُسهم في تقوية المجتمع في مواجهة التحولات العالمية المتسارعة، والتصدّي للأخطار الخارجية.

^{٢٤٣} محمد بن عبد الله السلومي. ٢٠٠٢. "العمل الخيري في الإسلام حقيقة الدوافع والأهداف". مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع). الرسالة التاسعة. ص ٥. الرسائل/٢٦-العمل-الخيري-في-الإسلام-حقيقة-الدوافع-والأهداف.

<http://rdsector.org/index.php>

^{٢٤٤} خليل زنيهة. ٢٠١٥/٢٠١٦م. معوقات العمل التطوعي في المجتمع المدني - دراسة ميدانية للجمعيات الخيرية بمدينة بسكرة. (رسالة دكتوراة). جامعة محمد خيضر-بسكرة-الجزائر. ص. ١٣.

^{٢٤٥} إسماعيل الشندي ومحمد عبد الفتاح شاهين. ٢٠١٣. "العمل التطوعي من منظور إسلامي" (ورقة بحث). مؤتمر العمل التطوعي في فلسطين واقع واحتياجات. جامعة القدس المفتوحة. فلسطين.

<http://www.qou.edu/ViewTopicDetails.do?loc=p&threadId=٣٣٥١٨&status=approved>

^{٢٤٦} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم. ج. ٣: ١٢٩ رقم الحديث ٢٤٤٦.

^{٢٤٧} هند حسين محمد حريري. ٢٠١٧م. واقع العمل التطوعي في مجال البحث العلمي عبر شبكات التواصل الاجتماعي لطالبات كلية التربية بجامعة جدة. مجلة كلية التربية - جامعة الأزهر. العدد ١٧٣. الجزء الثاني. أبريل. ص. ٢٨٨.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الأولويات التي يركّز عليها العمل التطوّعيّ تختلف من مجتمعٍ لآخر بحسب احتياجات كل مجتمع، ففي الوقت الذي تركّز فيه مجتمعات الدّول المتقدّمة على قضايا المرأة والسّلام والبيئة لتكون في قمّة أولويات العمل التطوّعيّ لديها، فإنّ الأمر يبدو مختلفاً بالنّسبة لمجتمعات دول العالم الثّالث، وخاصّةً المجتمعات العربيّة، حيث يتطلّب واقع الحال أن تحتلّ قضايا البطالة، ومحو الأُميّة، وتوفير الرّعاية الصحيّة سلّم أولويّات العمل التطوّعيّ ليخفّف ذلك من وطأة الحِمْل الثّقيل الملقى على كاهل الحكومات، فتخرج من نطاق فلسفة الرّعاية الكاملة إلى فلسفة الرّعاية التّوعيّة^{٢٤٨}. كما أنّ تفعيل ثقافة العمل التطوّعيّ في المجتمع يجعله يخرج من ضيق عباءة تسلّط الحكومات، وربّما استبدادها^{٢٤٩} إلى التّحرك ضمن نطاقٍ واسعٍ من الحريّات، وبسرعة أكبر مما لو ترك الأمر ليبروقراطيّة الجهات الحكوميّة بهدف تحسين الخدمات.

٢،٤ المبحث الثّالث: دور العمل التطوّعيّ في بناء شخصيّة الصّغار

٢،٤،١ تعريف الشخصيّة ومفهوماتها بنائها:

لا توجد نظريّة واحدة ومحدّدة لمفهوم مصطلح "الشخصيّة"، فهو من أكثر مفاهيم علم النّفس تعقيداً وتركيباً، ولكن بيّن المهتمّون بدراسة هذا المصطلح أنّه يشمل الصّفات الجسميّة والعقليّة والوجدانيّة في تفاعلها مع بعضها البعض، وفي تكاملها في شخصٍ معيّن يتفاعل مع بيئة اجتماعيّة معيّنة^{٢٥٠}. فهي بحسب رأي خبراء التّربية نظامٌ متكاملٌ من هذه الأمور (صفات وطبائع داخلية، وصفات مظهرية خارجيّة) مجتمعة

^{٢٤٨} إبراهيم البيومي غانم، ٢٠٠١. "البحث عن ثقافة التطوّع في مجتمعاتنا". صيد الفوائد.

<http://www.saaid.net/Anshatah/dole/٦٧.htm>

^{٢٤٩} المصدر نفسه.

^{٢٥٠} عباس سمير، ٢٠١٦/٢٠١٧. "مطبوعة لمحاضرات نظريات الشخصيّة". جامعة محمّد البشير الإبراهيمي برج بوغريج كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الاجتماعية شعبة علم النفس. <http://fshs.univ-bba.dz/images/cours/٠٥.pdf>

مع بعضها، ويؤثر بعضها في بعض، بحيث تظهر في شكل منظومة منسقة ومتكاملة، مما يعطي طابعاً محدداً للكيان المعنوي للشخص^{٢٥١}.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الشَّخصيَّة السَّوية شَخْصِيَّة متنامية منذ الصِّغَر^{٢٥٢}، بمعنى أنّها ليست ثابتة السِّمات؛ كما قد يتوهم البعض؛ بل إنّ تلك السِّمات تتغيَّر وتختلف من حيث قوَّة الظُّهور وضعفه باختلاف المراحل العُمريَّة؛ مرحلة الطُّفولة، ومرحلة الشُّباب، ومرحلة الكهولة، ومرحلة الشَّيخوخة؛ وتتأثر بالمحيط الخارجي، سواء الأشخاص أو الطُّروف البيئيَّة، أو الطُّروف الاجتماعيَّة، كما تتأثر بما يطرأ عليها من تغيّرات فيسيولوجيَّة ونفسية، وكما أنّها قابلة للتأثر فهي قادرة أيضاً على أن تؤثر في المحيط بدرجات متفاوتة. إلاّ أنّه، وبرغم تلك الاختلافات، يمكن القول بأنّ هناك عوامل تكوينيَّة رئيسة تشترك في تكوين كلِّ أنواع الشَّخصيَّات، يمكن عرضها كما أوردها سمير^{٢٥٣} بتصريفٍ على النحو الآتي:

- **العوامل البيولوجيَّة:** ويُقصد بها الصِّفات الجسميَّة الوراثة التي تحدّد قدرة الفرد على التكيّف والتفاعل مع مكوّنات البيئة من حوله.
- **العوامل العقليَّة المعرفيَّة:** وهي تنقسم إلى قسمين: إمّا فطريَّة كالذكاء والقدرات التحصيليَّة، وإمّا مكتسبة يغذيها ما يتلقاه الفرد من تعليم، ومعارف، ومهارات، ومعتقدات. ويُعدّ المستوى التعلّيميّ والمعرفيّ للفرد من أهمّ مكوّنات بناء الشَّخصيَّة لما يترتب عليه من تحديد انطباع المرء عن نفسه وانطباع الآخرين تجاهه.

^{٢٥١} خلخال، ناجح حمزة. ابريل ٢٠١٤. "تعريف الشَّخصيَّة ونظرياتها". جامعة بابل - كلية الفنون الجميلة.

<http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=١٣&lcid=٣٨٦٣>

^{٢٥٢} أمجد قاسم. أغسطس ٢٠١٣. "مُقومات الشَّخصيَّة السَّوية". <http://alxloom.com/?p=٧٣٠٤>.

^{٢٥٣} عباس سمير. ٢٠١٧/٢٠١٦. "مطبوعة لمحاضرات نظريات الشَّخصيَّة". جامعة محمَّد البشير الإبراهيمي برج بوغريج كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الاجتماعية شعبة علم النفس. <http://fshs.univ-bba.dz/images/cours/٠٥.pdf>

• **العوامل النفسِيَّة:** ويُقصد بها مجموع الصِّفات الانفعاليَّة المميِّزة للفرد من حيث المشاعر والانفعالات قوَّة أو ضعفاً، ثباتاً أو تقلُّباً، وللتَّركيب الوراثي دخلٌ في إبرازها، لأنَّها تعتمد على التَّكوين الكيميائيِّ والعصبيِّ.

• **العوامل الاجتماعيَّة والجغرافيَّة:** وهذه يتفاوت العلماء في اعتمادها أحد أسباب مكوِّنات الشَّخصيَّة، إلَّا إنَّه ليس بالإمكان التَّعاضِّي عن مدى تأثير حياة الجماعة، وورقتهم الجغرافيَّة صحراويَّة، أو جبليَّة، أو زراعيَّة، حَضريَّة أو ريفيَّة على أسلوب حياة الأفراد وطبائعهم، فتثاقفة المجتمع تؤثر في طبيعة التَّفكير، وطبيعة التَّعبير عن الانفعالات، ومدى تقبُّل المعايير السَّائدة في تلك البيئة، فنتج عن ذلك الصِّفات الخُلقيَّة للفرد في مجتمعه كالأمانة والخيانة والكرم والتَّسامح أو ما يُضادُّها.

وتجد الباحثة أنَّه لا تعارض بين العوامل سابقة الذِّكر وأهميَّتها في تكوين الشَّخصيَّة السَّويَّة؛ خاصَّةً فيما يتعلَّق بالمكوِّنات الفطريَّة؛ والدَّعوة إلى غرس القيم الحميدة عموماً، وقيمة التَّطوُّع على وجه الخصوص في شَخصيَّة الصَّغير، فقد ورد في سنَّة المصطفى ﷺ قوله لأشَّحَّ عبد القيس: "إنَّ فيك حَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ والأناة، قال يا رسولَ اللهِ: أنا أخلِّقُ بهما أم اللهُ جَبَلَنِي عليهما؟ قال: بل اللهُ جَبَلَكَ عليهما، قال: الحمدُ لله الذي جَبَلَنِي على حَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ ورسولُهُ" ٢٥٤. وورد عنه ﷺ أيضاً قوله: " وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ" ٢٥٥. ففي الحديث الأوَّل أثبت أنَّ بعض الصِّفات تكون فطريَّة، وهذا معنى استفسار الصَّحابيِّ المنذر الأشج: هل الحَصَلَتان مكتسبتان أم أنَّ اللهُ خَلَقَهُمَا فيِّ دون اكتسابٍ مَيِّ؟ فأجابه النَّبيُّ ﷺ أنَّه جَبَلَ عليهما، أي

٢٥٤ السجستاني، أبو داود سُلَيْمان بن الأشعث الأزدي. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. سنن أبي داود. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي. د. م.: دار الرسالة العالمية. ج. ٧: ٥١٢-٥١٣. رقم الحديث ٥٢٢٥.

٢٥٥ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري كتاب الرِّكاة. باب الاستِغْفَابِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ. ج. ٢: ١٢٢-١٢٣. رقم الحديث ١٤٦٩.

أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمَا فِيهِ. وفي الحديث الثَّانِي أَوْضَحَ ﷺ أَنَّ الْعَمَلَ عَلَى تَرْوِيضِ النَّفْسِ، وَإِكْسَابِهَا صِفَاتٍ جَدِيدَةٍ
مِثْلَ التَّعَفُّفِ، وَالِاسْتِغْنَاءِ، وَالتَّصَبُّرِ مُمْكِنٌ وَلَيْسَ بِالْأَمْرِ الْمُسْتَحِيلِ إِذَا مَا وُجِدَ الْوَعْيُ، وَالِإِصْرَارُ، وَالْعَمَلُ
الدَّوَّوبُ، تَصَدِيقاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^{٢٥٦}،
فَالْمُجَاهِدَةُ فِي مَخَالَفَةِ هَوَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْأَعْدَاءِ تَعْنِي التَّخْلُصَ مِنْ كُلِّ مَا لَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ
قَبِيحِ الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ، ثُمَّ السَّبْرُ فِي كُلِّ الطَّرُقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَيْهِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي تَغْيِيرِ طَبَاعِ النَّفْسِ السَّيِّئَةِ
وَإِكْتِسَابِ الطَّبَاعِ الْحَسَنَةِ، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ صَبْرًا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَعَلَى الطَّاعَاتِ^{٢٥٧}، حَتَّى تَصِيرَ لَدَى الْفَرْدِ
نَفَائِسُ الْمَلَكَاتِ لَا بَدَّ مِنَ الذُّبُوبِ عَلَى الْأَفْعَالِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَعَهَّدَ بِأَنْ يَكُونَ مَعَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ
يَتَعَاهَدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُجَاهِدَةِ وَسَمَّاهُمُ الْحَسَنِينَ، وَوَعَدَهُمُ بِالتَّأْيِيدِ وَالْهُدَايَةِ وَالتَّنَصُّرِ مِنْ عِنْدِهِ^{٢٥٨}، فَالْهُدَايَةُ
وَالْتَوْفِيقُ تَكُونُ أَثْرًا وَنَتِيجَةً لِلْمُجَاهِدَةِ^{٢٥٩}.

إِنَّ إلقاءَ الضَّوءِ عَلَى الْعَوَامِلِ الَّتِي تُسَهِّمُ فِي تَكْوِينِ شَخْصِيَّةِ الْفَرْدِ وَالْإِمَامِ بِهَا تَحْتِمُ عَلَى الْمَرْبِئِينَ ضِمْنَ
نِطاقِ الْأُسْرَةِ، وَفِي الْمَوْسُوسَاتِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ أَخْذُهَا بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ مِنْ أَجْلِ تَنْشِئَةِ جِيلٍ مِنَ الشَّبَابِ
يَتَّسِمُ بِقَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ الْوَعْيِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ، وَلَدَيْهِ مِنَ الْمَهَارَاتِ وَالْقُدْرَاتِ مَا يُؤَهِّلُهُ لِأَنْ يَقُودَ مَجْتَمَعَهُ، وَأُمَّتَهُ نَحْوَ
الرِّيَادَةِ. فَإِنَّ نَهْضَةَ الْأُمَّةِ مَنُوطَةٌ بِبِنَاءِ شَخْصِيَّةِ أَفْرَادِهَا بِنَاءً سَوِيًّا مِنْذُ عَهْدِ الطُّفُولَةِ. وَالْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَوْلَى
مِنْ غَيْرِهَا بِهَذَا الْبِنَاءِ، فَدِينُهَا هُوَ الدِّينُ الْحَالِدُ، وَقَدْ حَبَّأَهَا اللَّهُ بِصِفَاتٍ تَوْهَّلَهَا لِأَنْ تَتَسَلَّمَ زِمَامَ الْمُبَادَرَةِ
وَالرِّيَادَةِ.

^{٢٥٦} القرآن. العنكبوت ٢٩:٦٩.

^{٢٥٧} البغوي. ١٤٢٠هـ. تفسير البغوي- إحياء التراث. ج. ٣. ص. ٥٦٨.

^{٢٥٨} ابن عاشور. ١٩٨٤م. التحرير والتنوير. ج ٢١. ص. ٣٧.

^{٢٥٩} حوى، سعيد. ١٤٢٤هـ. الأساس في التفسير. الطبعة السادسة. القاهرة: دار السلام. ج. ٩. ص. ٥٣٣٣.

٢، ٤، ٢ أثر العمل التطوعي في بلورة شخصية الصغار:

يُكمن جوهر التربية للأبناء في غرس القيم وتنميتها^{٢٦٠}، وتهذيب الأخلاق وتفعيلها لإعدادهم حياةً صالحةً طيبةً، ذلك لأنَّ القيم تُعدُّ الدَّعامَةَ الأساسِيَّةَ لبناء الإنسان الصَّالح القادر على إعمار الأرض بما يُرضي الله، فهو خليفته في الأرض، قال تعالى: ﴿.. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرْ لَهُ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾^{٢٦١}، فالإنسان دون قيمه المنسجمة مع الفطرة السليمة يُشكِّلُ خطراً على نفسه، وعلى الحياة والأحياء من كلِّ جنسٍ ولونٍ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^{٢٦٢} وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^{٢٦٣}، ففي الآية إشارةٌ إلى دَمٍّ مِّن يتظاهر بالصَّلاح ثمَّ يسعى في الأرض بالفساد والشَّرَّ ينقله بين النَّاسِ قاصداً إحداث الأذى^{٢٦٤}، أو بتخريب المعمور لمصلحة النَّاسِ، فهذه صِفة المنافق^{٢٦٥}. كما أنَّ القيم هي الحارس الأمين لاستقرار المجتمع والسَّبيل لارتقائه، فإنَّ مجتمعاً بلا قيم هو مجتمعٌ في طريقه إلى زوال^{٢٦٥}، يُنخره الفساد، وتفئك به الفتن، وتحفُّه المخاطر والحزن.

يَتفاوت أفراد المجتمع فيما يمتلكون من قدراتٍ عقليَّةٍ، وأخرى تحصيليَّةٍ، ذلك ما أثبتته الدِّراسات النَّفسِيَّةُ المعاصرة، كما يتفاوتون في الانفعالات والأخلاق، وهذه كلُّها تستمدُّ أصولها من عهد الطفولة^{٢٦٦}، من هنا تبرز أهِيَّةُ تعليم القيم للأفراد منذ الصَّغر لتتجذَّر في نفوسهم، وترسِّخ في ضمائرهم، فتكبر معهم،

^{٢٦٠} عبد الغني غدير أحمد والنوي بالطاهر. د.ت. "القيم الأخلاقية في كتاب التربية الإسلامية- دراسة تحليلية لكتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة من التعليم الابتدائي طبعة ٢٠١٣-٢٠١٤". جامعة الوادي كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

^{٢٦١} القرآن. هود ١١:٦١.

^{٢٦٢} القرآن. البقرة ٢:٢٠٤-٢٠٥.

^{٢٦٣} الشعراوي. د.ت. تفسير الشعراوي- الخواطر. ج. ١٦. ص. ٩٨٧١.

^{٢٦٤} حوى. ١٤٢٤هـ. الأساس في التفسير. ج. ١. ص. ٤٧٧.

^{٢٦٥} عبد الغني غدير أحمد والنوي بالطاهر. د.ت. "القيم الأخلاقية في كتاب التربية الإسلامية- دراسة تحليلية لكتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة من التعليم الابتدائي طبعة ٢٠١٣-٢٠١٤". جامعة الوادي كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

^{٢٦٦} عوض، عباس محمود. ١٩٩٩م. المدخل إلى علم نفس النمو: الطفولة- المراهقة- الشيخوخة. د. م.: دار المعرفة الجامعية. ص. ٦-٧.

وتصير جزءاً لا يتجزأ من شخصياتهم، تُبنى بها سلوكياتهم وممارساتهم اليومية. فالعقل البشري ينمو ويكبر بما يحتزنه من أفكارٍ، ويتطوّر ويتأثر بما يتلقاه من علومٍ ورعايةٍ وتربيةٍ، فيتولّد لديه رصيّدٌ من الخبرات المتنوّعة التي تعمل على صبغ كلِّ فردٍ بصبغةٍ خاصّةٍ تجعله متميّزاً في طريقة تفكيره، وتنوّع أحاسيسه، وأسلوب تعاطيه مع الأمور من حوّله على امتداد مراحل عُمره.

إنّ هناك سيّئاً مثاليّةً لزراعة بعض القيم والمفاهيم في نفوس الصّغار، وعقولهم تتمثّل في السنوات الاثنتي عشرة الأولى من عُمرهم^{٢٦٧}، على أنّ بعض الدّراسات تخصّ الفترة من ثلاث إلى ست سنوات من عمر الصّغير والتي تُسمّى بمرحلة ما قبل التّمييز، أو مرحلة ما قبل المدرسة، حيث تكون القدرات العقليّة، والنّفسيّة، والاجتماعيّة في بدايات نموّها ممّا يجعل الصّغير مؤهّلاً لاستقبال قدرٍ معيّنٍ من القيم^{٢٦٨}، وإغفال هذه الحقيقة يقود إلى ضياع كثيرٍ من الفرص الذهنيّة التي يمكن استثمارها لتشكيل الوعي لدى الأبناء، وبناء الشّخصيّة السّويّة.

يرتبط الوعي عموماً بطبيعة الأفكار التي تحتلّ العقل، وهذه بدورها تؤثر على الصّحة النّفسيّة والعقليّة والجسديّة للفرد، فإنّ أثرت تلك الأفكار على الوجدان صارت قناعاتٍ ومبادئ، فإنّ اتّسمت بالصّلاح عادت على صاحبها وعلى مجتمعها بالنّفع، وإنّ كانت غير ذلك جلبت لهم جميعاً الهموم والمفاسد. وكما أنّ الإنسان بصفةٍ عامّةٍ يتأثر ببيئته المحيطة، فإنّ الصّغير أشدّ تأثراً في سنوات عُمره الأولى - حسبما تشير الدّراسات - بطبيعة البيئة المحيطة به^{٢٦٩}، ويمكن ملاحظة هذا التأثير على دماغ الطّفل حيث تنشط بعض أجزائه، وتقوى الإشارات العصبيّة ممّا يؤدّي إلى نموّ ذلك الجزء من الدّماغ^{٢٧٠}، ولا تقتصر قدرة الدّماغ على

^{٢٦٧} خالد عبد الله الديهان. ٢٠١٨. (١٦٣٠ كلمة في التّربية). الطبعة الأولى. ص ٢٥.

^{٢٦٨} نصيرات، رائدة خالد. د.ت. "أساليب غرس القيم حسب مراحل النمو عند الأطفال من منظور تربوي إسلامي". كلية الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة. جامعة اليرموك.

^{٢٦٩} عوض، عباس محمود. ١٩٩٩م. المدخل إلى علم نفس النمو: الطفولة - المراهقة - الشيخوخة. د. م.: دار المعرفة الجامعيّة. ص. ٨.

^{٢٧٠} وليد فيحجي. ٢٠١٣. ومحياي: النّكاء العاطفي. الحلقة السابعة. (فيديو). قناة فور شباب.

تخزين المعلومات فقط، بل له القدرة أيضاً على تخزين المشاعر والأحاسيس في جزءٍ منه يُسمَّى اللوزة الدماغية Amygdala، وهي عُدةٌ تنمو سريعاً أثناء مراحل تكوُّن الجنين، وتصير تلك المشاعر والأحاسيس الدفينة هي المرجعية التي تظهر بشكلٍ عفويٍّ في سلوك الطفل حين يتعرَّض لاستشارةٍ تحرك تلك المشاعر^{٢٧١}. إنَّ ذلك المخزون من الأفكار والمشاعر حين تصوغها التربية الواعية سيشكِّل نقطة ارتكازٍ لدى الطفل ينطلق منها للتمييز بين الأشياء، والأحداث، والأشخاص من حيث القبول أو الرفض، وتستمرُّ بالتضح نوعاً وكثماً مع توالي التجارب لتصبح المعايير التي يستند إليها لإصدار الأحكام، واتخاذ القرارات في المراحل اللاحقة من حياته^{٢٧٢}.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الإسلام يحثُّ على المبادئ العظيمة، والأخلاق الكريمة، لذلك أولى مرحلة الطفولة اهتماماً بالغاً، وشدد الأمر على الذين يتصدرون مهمة التربية، سواء الوالدين أو المعلمين، حيث قال ﷺ: " أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ... "٢٧٣، فمسؤولية الرعاية مسؤولية عظيمة، يُسأل عنها العبد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^{٢٧٤}. ولا تقتصر تلك المسؤولية على توفير حاجات الإنسان الضرورية للحياة من مأكلي

<https://www.youtube.com/watch?v=iTuGAgbjfy>

^{٢٧١} المصدر نفسه.

^{٢٧٢} Guy-Evans, O. ٢٠٢١, May ٠٩. "Amygdala function and location". *Simply Psychology*.

<http://www.simplypsychology.org/amygdala.html>

^{٢٧٣} البخاري. ١٤٢٢. صحيح البخاري.. كتاب الأحكام. باب قول الله تعالى {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}. ج. ٩: ٦٢. رقم الحديث ٧١٣٨. واللفظ له. مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإمامة. باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرقي بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم. ج. ٣: ١٤٥٩. رقم الحديث ١٨٢٩.
^{٢٧٤} القرآن. الصفات: ٣٧: ٢٤.

وملبسٍ ومسكنٍ، بل تعداها لتشمل كل ما من شأنه تكوين الفرد الصالح، وهيئته للحياة الطيبة، وهيئة ظروف الحياة الكريمة له.

وتحتل الرعاية النفسية والوجدانية والفكرية، والتوجيه التربوي الأخلاقي لبناء الشخصية السوية حيزاً واسعاً في هذا المجال، إذ يؤكد علماء النفس أن ما يحظى به الطفل في السنوات الأولى من عمره من رعاية واهتمام تُساهم مساهمة كبيرة في نُضجه مستقبلاً^{٢٧٥}، مع التنبيه على أن التربية على الأخلاق ليست بكلماتٍ يقوم المربي بتحفيظها للأبناء، ولا هي دروسٌ تُلقن لهم تلقيناً، إنما هي ممارسات، وعادات، وعواطف يكتسبها الطفل في المراحل الأولى من حياته بحيث تُشكّل لديه قناعاتٍ يُقبل عليها برغبةٍ، ويمارسها باقتناعٍ ووجدانٍ لأنها صارت جزءاً لا يتجزأ من كيانه، تغيب السكينة والطمأنينة والراحة عن نفسه بغيبها، ، وقد قال الأولون: إن "الوعظُ بلسانِ الفعلِ أتمُّ منه بلسانِ القولِ"^{٢٧٦}.

أثبت العلم الحديث أن ٩٥٪-٩٩٪ من قرارات، وسلوكيات، ومشاعر، وانفعالات، وردود أفعال تعتمد على البرمجة التي ترسخت في العقل اللاواعي لدمغ الإنسان بناءً على ما تلقاه خلال سنوات عمره الأولى. وأوضح العلماء أيضاً أنه يمكن برمجة العقل اللاواعي من جديد ليكتسب عاداتٍ وانفعالاتٍ وردود أفعالٍ جديدةً من خلال طريقتين هما: التكرار، وطريق الإيمان والصلاة^{٢٧٧}.

فأما التكرار فهو يرسخ الفعل في العقل اللاواعي حتى يصير عادةً لا تحتاج إلى كثير تفكيرٍ أو شدة تركيزٍ ليؤدّى، لأنّ تقليد الأهل والأتراب طبيعة في الطفل تتم بدون وعيٍ منه^{٢٧٨}، حتى إذا ما كبر وأصبح

^{٢٧٥} وليد فتحي. ٢٠١٣. ومحياي: الذكاء العاطفي. الحلقة السابعة. (فيديو). قناة فورشباب.

<https://www.youtube.com/watch?v=iTuGAgbjfy>

^{٢٧٦} الرازي. ١٤٢٠ هـ. مفاتيح الغيب= التفسير الكبير. ج. ٢٢. ص. ١١٥.

^{٢٧٧} وليد فتحي. ٢٠١٣. ومحياي: اختطاف العقل. الحلقة الثالثة عشرة (فيديو). قناة فورشباب. التصفح في ١٩ نوفمبر ٢٠١٨.

<https://www.youtube.com/watch?v=εquDE٣Dcj١٥>

^{٢٧٨} الأهدل، هاشم بن علي. د. ت. تعليم تدبير القرآن الكريم: أساليب عملية ومراحل منهجية. جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي. ص. ٢٧-٢٨.

مسؤولاً عن تصرفاته سيُدرِك حينها طبيعة سلوكه من حيث القبول أو الرّفُض من قِبَل الآخرين، وهذا ينطبق على الأخلاق، والطِّباع، وممارسات الإنسان في حياته كلّها.

وقد ذُكرت أهميّة تكرار الفعل مرّةً بعد مرّةٍ في اكتساب الملكات والتّحليّ بمحاسن الصّفات في كُتب التّفسير، مثاله ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ﴾^{٢٧٩}، حيث كان أحد وجوه التّفسير لعبارة (وتثبیتاً من أنفسهم) أن أمر إنفاق المال الذي هو شقيق الرّوح للإنسان^{٢٨٠} يحتاج إلى مجاهدةٍ ورياضةٍ، وهذا يتطلّب تكرار الفعل كي تثبت هذه النّفس على الإيمان، ذلك " لأنّ النّفس إذا رُيّت بالتّحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلّت خاضعةً لصاحبها، وقلّ طمعها في اتّباعه لشهواتها، وبالعكس"^{٢٨١}، فالمؤمنون " يُثْبِتُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِ أَمْوَالِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ رِيَاضَةً لَهَا وَتَدْرِيئًا وَتَمَرِينًا"^{٢٨٢}، ومن واطب على الإنفاق مرّةً إثر مرّة ابتغاء مرضاة الله تعالى استحالت هذه المواظبة إلى ملكةٍ مستقرّةٍ في النّفس، بحيث يستهجن القلب أيّ فعلٍ يصدّر عنه على سبيل الغفلة، ولا يرتاح، فيسارع في التّوبة والعودة إلى الحقّ، لأنّ العبادة صارت له عادةً تأنس بها النّفس فتثبت على الإيمان^{٢٨٣}. فالشاهد هنا أنّ تكرار الممارسة يؤيّد رسوخ الخلق في النّفس.

وبناءً على ما تقدّم يتّضح للباحثة أنّه إذا ما تمّ تعويد الصّغير على العطاء، وهو أحد الصّفات الأخلاقيّة الرّاقية من خلال تكرار الممارسات، وظهّرت أمامه سلوكياتٍ مختلفةً تترجم هذه الخصلة الحميدة باستمرارٍ وتحوّلها من مساحة الوعظ المنطوق إلى مساحة الفعل المشهود الملموس، فإنّ ذلك حتماً سيكون

^{٢٧٩} القرآن. البقرة ٢: ٢٦٥.

^{٢٨٠} الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. ١٤٠٧ هـ. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الطبعة الثّالثة. بيروت: دار الكتاب العربي. ج. ١. ص. ٣١٣.

^{٢٨١} المصدر نفسه.

^{٢٨٢} الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله. ١٤١٤ هـ. فتح القدير. دمشق: دار ابن كثير. ج. ١. ص. ٣٢٧.

^{٢٨٣} الرازي. ١٤٢٠ هـ. مفاتيح الغيب= التفسير الكبير. ج. ٧. ص. ٤٩.

له أثرٌ إيجابيٌّ على عواطفه وسلوكه، فرضى الصَّغير عن نفسه في مرحلة الطُّفولة مرتبِّطٌ برضى الكبار عنه، وستتمُّ برمجة عقله اللاواعي على هذه الحصلة النَّبيلة، فتتحوَّل لديه صفة الأثرة والأنايَّة والانغماس بحبِّ الذات والملاذات، ويُقدِّح في ذهنه الاستعداد والمبادرة لبذل الخير. ولعلَّه من نافلة القول للاستدلال على أهميَّة التكرار في غرس وترسيخ خُلُق ما في شخصيَّة الصَّغير الاستئناس بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ﴾^{٢٨٤}، حيث إنَّ الاضطراب يتطلَّب الحثَّ والمواظبة، ولفظ الاضطراب "له مزيةٌ على الصَّبر، وهو ألا يجد صاحبه الألم، بل يكون محمولاً مروحاً"^{٢٨٥}، وهذا ما يتطلَّبه الحثُّ على اكتساب قيمة التَّطوُّع.

وأما أثر الإيمان والصَّلاة على العقل اللاواعي فهو أثرٌ عظيمٌ، إذ لوحظ أنَّ المنطقة المسؤولة عن استيعاب المعاني والعواطف، وتخزين الذِّكريات الجديدة في العقل اللاواعي تكون مضاءةً ومستثارةً أثناء لحظات الخشوع في الصَّلاة^{٢٨٦}، حيث تكون المشاعر إيجابيةً، والعاطفة متديقةً، فتنشط اللُّوزة الدِّماغية Amygdala، فيكون لها دورٌ كبيرٌ في كفيَّة معالجة المشاعر القويَّة والذِّكريات مثل الخوف أو المتعة^{٢٨٧}. ولا غرابة إذن في توجيهِ النَّبيِّ الكريم ﷺ للأباء والأمهات بضرورة وأهميَّة تعليم الأبناء الصَّلاة التي هي أهمُّ فريضةٍ من فرائض الإسلام، وأقوى رُكنٍ من أركانه في سنِّ مبكرةٍ، وحرصه ﷺ على أداء السنن الرُّواتب، وسنن النَّوافل تطوُّعاً لما في ذلك من أثرٍ كبيرٍ في تربية النَّفس وربطها بخالفها، قال ﷺ: " عَلِّمُوا الصِّبَّ

^{٢٨٤} القرآن. طه ١٩:١٣٢.

^{٢٨٥} القشيري. د. ت. لطائف الإشارات = تفسير القشيري. ج. ٢. ص. ٤٨٩.

^{٢٨٦} وليد فتحي. ٢٠١٣. ومحياي: اختطاف العقل. الحلقة الثالثة عشرة. (فيديو). فورشباب.

<https://www.youtube.com/watch?v=εquDErDcj8o>

^{٢٨٧} Guy-Evans, O. ٢٠٢١, May ٠٩. "Amygdala function and location". *Simply Psychology*. <http://www.simplypsychology.org/amygdala.html>

الصَّلَاةُ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنُ عَشْرٍ^{٢٨٨}، فَذَكَرَ جَمَاهُورُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الصَّلَاةَ غَيْرُ وَاجِبَةٍ عَلَى الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَلَكِنَّ التَّعْلِيمَ بِالصَّلَاةِ وَالضَّرْبَ عَلَيْهَا عِنْدَ عَشْرِ سِنِينَ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّدْرِيبِ^{٢٨٩}.

وَاسْتَلْهَمًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ تَلَفَّتِ الْبَاحِثَةُ النَّظْرَ إِلَى أَنَّ تَحْصِيفَ هَذِهِ الْفِتْرَةِ مِنْ عُمُرِ الصَّغِيرِ بِالْحَتِّ عَلَى التَّدْرِيبِ وَالتَّعْلِيمِ فِيهَا أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهَا الْفِتْرَةُ الْمُتَلَى لِعَرَسِ الْقِيَمِ الَّتِي يُرَادُ لَهَا أَنْ تَكُونَ مُلَازِمَةً لِلصَّغِيرِ حِينَ يَكْبُرُ، فَتَصِيرُ جُزْءًا مِنْ كِيَانِهِ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ، فَكَيْفَ يَغْفَلُ عَنْهَا الْمُرْتَبُونَ حِينَ يَأْتِي الْحَدِيثُ عَنِ التَّطَوُّعِ وَمَا يَحْوِيهِ مِنْ قِيَمٍ عَدِيدَةٍ تَجْعَلُ مِنْ صَاحِبِهَا مُسْلِمًا صَالِحًا مُصْلِحًا، وَمُؤَاطِنًا صَاحِبَ وِلَاءٍ لِمَجْتَمَعِهِ!

وَالْقُرْآنُ يُؤَكِّدُ حَقِيقَةَ أَثَرِ الْمَوَاضِبَةِ عَلَى الصَّلَاةِ بِوَجْهِ عَامٍ فِي تَرْكِيَةِ النُّفُوسِ، وَتَهْدِيدِ الْأَخْلَاقِ، وَتَقْوِيمِ السُّلُوكِ، وَرَبْطِ الْمُسْلِمِ بِخَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ خِلَالَ حَرَكَتِهِ فِي الْحَيَاةِ عَلَى مَدَارِ يَوْمِهِ، فَيَسْعَى فِي طَلَبِ رِضَاهِ فِيمَا مَكَنَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ، فَيَمُدُّ يَدَهُ بِعَطَاءِ الْخَيْرِ، وَلَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْعَيْرِ، فَالصَّلَاةُ بَوَابَةٌ كُلِّ خَيْرٍ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٥﴾﴾^{٢٩٠}، فَاسْتَنْتَبَتِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةَ الْمُصَلِّينَ مِنْ صِفَةِ الْمَلْعِ الَّتِي فَسَّرَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ عَلَى أَنَّهَا شِدَّةُ الْحِرْصِ، وَالْجَزَعِ، وَالتَّضَجُّرِ، وَالتَّشْحِجِ، وَالتَّهَيُّلِ، وَهِيَ صِفَةُ الَّذِي لَا يُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ^{٢٩١}، وَذَكَرَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ إِنَّهَا: "قَلْبُهُ إِفْسَاكُ النَّفْسِ عِنْدَ اعْتِرَائِهِ مَا يُجْزئُهَا أَوْ مَا يَسْرُهَا

^{٢٨٨} الترمذي، مُخْتَدَّ بِنِ عَيْسَى بِنِ سُوْرَةَ بِنِ مَوْسَى بِنِ الضَّحَاكِ. ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. سنن الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. الطبعة الثانية. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ج. ٢: ٢٥٩. رقم الحديث ٢٤٨٥. وهو حديث حسن.

^{٢٨٩} العيني. د. ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب مواقيت الصلاة. باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز وصفتهم. ج. ٦. ص. ١٥٠.

^{٢٩٠} القرآن. المعارج ٧٠: ١٩-٢٣.

^{٢٩١} الطبري. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ٢٣. ص. ٢٦٦. القشيري. د. ت. لطائف الإشارات = تفسير القشيري. ج. ٣. ص. ٦٣١. البغوي. ١٤٢٠هـ. تفسير البغوي - إحياء التراث. ج. ٥. ص. ١٥٣.

أَوْ عِنْدَ تَوَقُّعِ ذَلِكَ وَالْإِشْفَاقِ مِنْهُ^{٢٩٢}، وهذه طبيعةٌ كامنةٌ في الإنسان، فتظهر عليه سُرعَةُ الجُرْعِ عند تعرُّضه للمخنة، وسُرعَةُ البخل، والشُّح، وشِدَّةُ الحِرْصِ، ومَنعُ المعروف إذا أصابه المال والغنى، ولذا كان عليه أن يُرَوِّضَ نفسه على مقاومة هذه النَّقائص، ولا يُقَصِّرَ في دَفْعِ آثارها^{٢٩٣}، ولا يستطيع ذلك إلا المصلِّين الذين هم على صلاتهم مداومون، أي مواظبون، حريصون على مقدّماتها من طهارةٍ، وتحجّرٍ لوقتها، وغير ذلك، ومن أداءٍ لها بخشوعٍ وطمأنينةٍ، ومن تجنّبِ إثيان المعاصي بعد أدائها^{٢٩٤}. وأفاد مجيء صِلَةِ الموصول على هيئة جملةٍ اسميةٍ ثباتُ صفةِ المداومة على الصَّلَاةِ، وقال ابن جريج والحسن في معنى المداومة على الصَّلَاةِ: أي الذين يُكثِرُونَ فِعْلَ التَّطَوُّعِ مِنْهَا^{٢٩٥}.

والتَّدرِيبُ على الصَّلَاةِ هو من التَّطَوُّعِ في التَّزْيِيةِ على الخُلُقِ الحميدِ، لأنَّ التَّدرِيبَ يَتَطَلَّبُ أَنْ يَتَحَلَّى المدرِّبُ المرِّيَّ بالصَّبْرِ على المتدربِ، وحُسنُ التَّوجِيهِ له، وتشجيعه بالكلمة الطَّيِّبةِ والمكافأةِ المفرحةِ، وتجنّبِ التَّأنيبِ والتَّعنيفِ عند التَّقْصِيرِ، وكلُّ هذه التَّصَرُّفاتُ هي خِياراتٌ طوعيةٌ ضمن حدود الإِطَاقَةِ، يسئُلُها المدرِّبُ ابتغاءَ رضوانِ الله حتَّى لا يكونَ مَن صَبَّحَ مسؤوليتهِ أمامَ الله عملاً بمقتضى الحديث الشَّريفِ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" الذي تقدّم شرحه^{٢٩٦}.

إنَّ حُبَّ التَّعَلُّمِ والاكتشافِ تعدُّ من الصِّفَاتِ الفِطْرِيَّةِ الإِيجابِيَّةِ التي أودعها الله سبحانه وتعالى في النَّفْسِ البشريَّةِ، والتي ينبغي على المرَّيِّينِ تَنمِيَّتَها والاستِفادةَ منها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۗ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۗ﴾^{٢٩٧}، فالآية الكريمة توضح ما أودعه الله

^{٢٩٢} ابن عاشور. ١٩٨٤م. التحرير والتنوير. ج ٢٩. ص ١٦٧.

^{٢٩٣} المصدر نفسه.

^{٢٩٤} الرازي. ١٤٢٠هـ. مفاتيح الغيب= التفسير الكبير. ج ٣٠. ص ٦٤٤.

^{٢٩٥} القرطبي. ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). ج ١٨. ص ٢٩١. الشوكاني. ١٤١٤هـ. فتح القدير. ج ٥. ص ٣٥٠.

^{٢٩٦} انظر ص ٨٧، ٨٦ من هذه الدراسة.

^{٢٩٧} القرآن. الشمس ٩١: ٧-٩.

في النَّفسِ البشريَّةِ من استعدادٍ لاستلهاَم سبيلِ الخيرِ وسبيلِ الشَّرِّ، وتقعُ مسؤوليَّةُ تنميةِ أيِّ منهما على عاتقِ الإنسانِ نفسه حينَ يُبلِّغُ مبلغَ النُّصحِ، أمَّا قَبْلَ ذلكَ فهيَ مسؤوليَّةُ القائِمينَ على تربيتهِ من حيثِ التَّوجيهِ والتَّعليمِ والتَّدرِيبِ، وتهيئةِ البيئَةِ المناسبةِ لاستنباتِ ما فيه من بذورِ الخيرِ والتَّقوى، ولذلكِ وُصِفَ بالفلاحِ مَنْ اختارَ تزكيةَ النَّفسِ، وتنميةِ الخيرِ المودَعِ فيها وأعانَ عليه، وخابَ وخسِرَ مَنْ حادَ عن ذلكِ.

إنَّ هذا اللونَ من التَّعليمِ انتَهجه الرُّسلُ الكرامُ عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، حيثُ يُخبرُ القرآنُ الكريمُ في قصةِ الخليلِ إبراهيمَ معَ ولدهِ الصَّبيِّ إسماعيلَ عليهما السَّلَامُ: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٣١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا آدَمُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٣٢﴾﴾^{٢٩٨} كيفَ أنَّ الأبَ الرَّحيمَ عمدَ إلى إخبارِ ابنه الصَّبيِّ بنبأِ تلكِ الرؤيا في حوارٍ هادئٍ رصينٍ، يستطلعُ رأيه (فانظُرْ ماذا ترى)، وكانَ بإمكانه أنْ يقومَ بتنفيذِ الأمرِ قسراً، ودونِ سابقِ إنذارٍ، لكنَّهُ آثرَ أنْ ينتهجَ أسلوباً عملياً تربوياً يكونُ درساً للمُربِّينَ من بعده في أهميَّةِ استطلاعِ رأيِ الأبناءِ ومشاورتهم في اتِّخاذِ القرارات، وإنْ كانتِ في المواضيعِ الحسَّاسةِ، وهو نوعٌ من تقاسُمِ المسؤوليَّةِ، وإنْ كانتِ مسؤوليَّةً أدبيَّةً أكثرَ منها حقوقيَّةً^{٢٩٩}، احتراماً لكيانهم، وتنميةً لعقولهم، واعتزازاً بشخصياتهم، وإنْ كانوا صِغاراً، فما كانَ من الابنِ إلا التَّسليمُ، والإدعانُ طواعيةً لوالده، ولأمرِ ربِّ العالمين (يا أبتِ افعلْ ما تُؤمرُ ستجدني إن شاء الله من الصَّابرين). فأبى تربيةً تلقَّها هذا الابنُ ليكونَ من نتائجها هذا الرَّدُّ الحكيمَ.

وحيثُ إنَّ المدرسةَ تُعدُّ المحضنَ الثَّانيَ بعدَ الأسرةِ من حيثِ الأهميَّةِ في التَّأثيرِ، وتكوينِ شخصيَّةِ الصَّغيرِ، كانَ لزاماً على هذهِ المؤسَّسةِ التَّربويَّةِ أنْ تعيَ دورها في تقديمِ القيمِ، والمفاهيمِ التَّربويَّةِ إلى جانبِ العلومِ المعرفيَّةِ في قالبٍ عمليٍّ يتعدَّى المفهومَ النَّظريِّ، فدورُ المدرسةِ يتمحورُ في خطَّينِ أساسيينَ: هما التَّربيةُ

^{٢٩٨} القرآن. الصفات ١٠١:٣٧-١٠٢.

^{٢٩٩} بكَّار، عبد الكريم. ٢٠٠٧. المسؤولية معلمها وتربية الناشئة عليها. ص ١٦.

والتعليم. تربية تُفضي إلى غرس قيم وتوكيدها بآلياتٍ عمليةٍ يمثّل التّطوُّع أحد صُورها المهمّة، وبعنايةٍ منتظمةٍ، ومتابعةٍ منهجةٍ مشفوعةٍ بعلومٍ معرفيةٍ، مواكبةٍ لعلوم العصر وتطوّراته، وقد قيل: "عندما لا يوجد البستانيّ لا توجد الحديقة"^{٣٠٠}، في إشارةٍ إلى ضرورة العناية المنتظمة، والمتابعة الفائقة المتكرّرة لما يتم غرسه حتّى يُؤتي ثماراً يانعةً بإذن الله. وتتعدّد القيم التي يمكن تقديمها للأبناء في مرحلة الدّراسة الابتدائية. وثبّن هذه الدّراسة أنّ التّطوُّع يمثّل الحقيبة الجامعة لعددٍ من القيم الأخرى التي لا غنى للفرد عنها.

وقبل الاستطراد في تبيان منظومة القيم التي يُعبر عنها التّطوُّع بصوره المختلفة، آثرت الباحثة في السّطور السّابقة أن تستعرض المعلومات المتعلّقة بتكوين دماغ الصّغير، وتأثير التّنشئة الاجتماعية من النّاحية العقلية والرّبويّة والنّفسيّة على تكوين شخصيّته، واستعداده للتّفاعل مع أحداث الحياة، وما يستجدّ فيها قبل أن تخوض بشكلٍ مباشرٍ في تأثير العمل التّطوُّعيّ في تكامل شخصيّة الصّغير لتكوين الفرد الصّالح، لتوضّح وتؤكد أنّ السّنوات الأولى من عُمر الصّغير ما قبل المدرسة ما هي إلّا تمهيدٌ وتوطئةٌ لاستنبات ما تمّ غرسه من بذور المبادئ والمعتقدات فيها، لتنمو تلك البذور، فتورق وتزهر في المرحلة اللاحقة.

سيجد القارئ في السّطور الآتية سرداً لبعض الصّفات التي سيكتسبها الطّفل إن هو تخلّق بحُبّ العطاء، وتمّ غرس هذه الخصلة فيه لتظهر في أقوى صُورها من خلال ممارسة التّطوُّع، بحيث يصبح ركناً أصيلاً في شخصيّته، يبرز تحت أيّ ظرف، وبكلّ صورةٍ ممكنةٍ، مدفوعاً بتلقائيةٍ وعفويّةٍ ليتشارك مع الآخرين فيما عنده من طاقةٍ، ومهارةٍ، وفكرٍ، ووقتٍ، دون أن يضرّ بشيءٍ من ذلك، بل إنّه يسعى كي يطوّر من قدراته لتكون ذات نفعٍ أكبر، وتأثيرٍ أعمق وأفضل. في حين أنّ التّغاضي عن غرس هذه القيمة في مرحلة العُمر الأولى، والتّهاون حيال ذلك سيجعل من الصّعب غرسها لاحقاً، وإن لم يكن مستحيلاً، شأنها شأن

^{٣٠٠} طارق السويدان وفیصل عمر باشراحييل. ٢٠١٣. صناعة القائد. الطبعة الثامنة. د.م.: قرطبة للنشر والتوزيع.

القيم الأخرى، ذلك لأن المرء أسير ما اعتاد عليه، وإن كان معظم الناس يحكمهم مبدأ الهبة^{٣٠١} بحيث يمكن أن يتجاوب الفرد، ويتفاعل بسبب تأثير ظرف آبي، وحاجة طارئة تأتي على شكل أزمة، أو قد يتأثر بسماع موعظة، أو حضور دورة، ثم لا تلبث تلك الحماسة أن تتضاءل، وتضمحل، فيخبو أوارها، وتذهب جذوتها إلى أن تنلشى. إن تغيير طباع الإنسان ومعتقداته بعد أن ترسخ ليس بالأمر السهل، فأصعب معركة يخوضها الإنسان هي معركته مع ذاته حين يحاول كسر طوق عاداته، ورتابة سلوكياته.

إن الرغبة في التعلم والممارسة، وحب الاختبار والتجربة والاكتشاف، والفضول تُعد من الصفات الإيجابية عند الصغیر، والعمل على تلميتها يصير واجباً، لتظل هذه الصفات فعالة طوال حياته^{٣٠٢}. وتعتقد الباحثة أن التطوع يُعتبر فرصة ثمينة لإبراز تلك الصفات واستثمارها وصقلها، ذلك أن غرس حب الشيء في وجدان الصغیر قبل البدء بتعلم تطبيقاته يُسهل في إقباله عليه، والحزص على الاستزادة منه. وكما أن التقليد عند الصغار يُعتبر سمة بارزة لديهم، يتحبون بها إلى من حولهم، إلا أن من الدراسات ما يشير إلى معنى أعمق للأسباب التي تدفع الصغیر للتقليد، فيعتبره عملية اجتماعية عميقة ترتبط غالباً بحاجة الطفل الصغیر إلى الانتماء إلى المجموعة، ودوافعه للانضمام إلى من حوله^{٣٠٣}. وهذا يقوي ما تذهب إليه هذه الدراسة من التأكيد على أهمية الممارسة المتكررة، والمنهجية لمفهوم التطوع من خلال البيئة الأسرية، والبيئة المدرسية، فطرح المفهوم نظرياً بطريقة علمية، وممارسته بتدريبات عملية متدرجة من شأنه أن يرتبط بحس الصغیر ووجدانه وسلوكه.

^{٣٠١} بكّار، عبد الكريم. ٢٠٠٧. تنمية الشخصية. ص. ٢٣.

^{٣٠٢} الغيرة، نبيه. ١٩٩٤. المشكلات السلوكية عند الأطفال. جمعية دار البر. ص ٢١.

^{٣٠٣} هاريت اوفر وماليندا كارينتر. الجانب الاجتماعي للتقليد. ٢٠١٢.

<https://doi.org/10.1111/cdep.12006>

وإذا كان الأبوان أو المربون يولون الصحة الجسدية للأطفال اهتماماً بالغاً، فيستشيرون الأطباء، ويتوقعون التغيرات التي قد تطرأ على صحة الصغير، فيتخذون لها التدابير الوقائية اللازمة، فإنه من باب أولى أن يكون عندهم الاهتمام ذاته فيما يخص التنشئة الاجتماعية والقيمية، والتهيئة النفسية التي يتعرض لها الأبناء أثناء تطوّر مراحلهم العمرية، فيتخذون من الأساليب والتدابير التربوية المتنوعة ما يُعدّ وقائياً، وما يُعتبر علاجياً للحيلولة دون نشأة الصغير نشأة غير سويّة، سيعاني منها مستقبلاً كل الأطراف: الصغير، والأسرة، والمجتمع، والأمة.

لذا تستلزم التربية السويّة من المربّين في جميع الأوساط التربويّة، والجهات المعنية بالشأن التربويّ من مؤسسات تعليميّة ودينيّة وإعلاميّة، وغيرها من مؤسسات المجتمع أن يعي كلّ منهم دوره في التنشئة السويّة، إذ لا تتمّ التربية المتكاملة للأبناء إلا ضمن منظومة التعاون بين تلك الأطراف^{٣٠٤}، بحيث يسعى كل طرفٍ منهم بجِدٍّ ومثابرةٍ للقيام بدوره التشاركيّ والتكامليّ في بناء الشخصية الواعية المتزنة المحصّنة بالإيمان الصحيح، والعلم الصحيح، واكتساب المهارات الضرورية لحياة آمنة مطمئنّة ومستقرّة ومواكبة للعصر.

التطوُّع كما تُصوِّره الدراسة الحالية قيمةً جامعةً عُليا تضمّ عدداً من القيم والمفاهيم الأخرى، وفيما يلي شيءٌ من التفصيل لتوضيح ذلك:

➤ التطوُّع يُنمّي عقيدة الطّفل المسلم الصحيحة، لأنّه يحقّق المنافع المستقاة من أركان الإسلام

الخمسة:

- فالفرد يقوم به مختاراً، لأنّه يؤمن بالله العظيم، وبرسوله الكريم ﷺ، فهو يؤدّيه استجابةً

لأمر الله، وحباً بالله، وتقرباً إليه. وهو يؤدّيه تأسياً برسول الله ﷺ وافتناءً لحطاه.

^{٣٠٤} عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح. د.ت. موسوعة نمو وتربية الطّفل. د.م.: كتب عربية. ص ١٧٥.

- والتطوع يجعل الفرد مؤثراً لغيره على نفسه، يشعر بحاجة أخيه الإنسان، وهذا أحد

المقاصد النبيلة التي يحققها ركنا الصوم والزكاة. قال تعالى: ﴿.. وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٠٥﴾

- والتطوع يُعطي الصَّغير فرصة استكشاف أماكن جديدة، ومقارنتها بالمكان الآمن الذي

يعيش فيه، فيزداد ارتباطاً به، وانتماءً إليه، وتقديراً لنعمة الأمان الذي يتفياً ظلاله،

فيتنقل المتطوع من مكانٍ إلى آخر تماماً كما هو الحال في رحلة الحج، حيث يُؤمر المسلم

بترك المنزل، والأهل، والولد، والمرايح متجرداً من حالة الرتابة ووسائل الراحة ليحج إلى

بيت الله الحرام، وفي هذا تطهيرٌ روحي، وتحقق أيضاً لمكسبٍ مادّي كما في قوله تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُؤَكِّدُ أَهْلًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٣٧﴾ لِيَشْهَدُوا

مَنْفَعٍ لَهُمْ .. ﴿٣٨﴾﴾. وهنا تتحقق للمتري الصَّغير كفاية التزنية البيئية.

➤ التطوع يمنح الصَّغير الفرصة للتعرف على ذاته، واكتشاف ميوله وقدراته، فحين يُفتح له المجال

للاختلاط بالآخرين، والتَّعرف على ما يمكنه أن يقدمه لهم بحسب احتياجاتهم، فإنه بذلك

يتعرَّف على قدراته وإمكاناته. فكفاية الوعي بالذات تدفع بالمتري الصَّغير إلى إدراك نقاط

الضعف ومكمن القوة في شخصيته، وهذا يزيد من عامل الثقة بالنفس.

➤ التطوع يُسهم في إيجاد الشجاعة الأدبية لدى الصَّغير للتعبير عن آرائه بحريَّة وطلاقةٍ مما يُبعد

عنه شبح التردد والخوف من انتقاد الآخرين، أو الإذلاء بشهادة حق.

٣٠٥ القرآن. الحشر ٥٩:٩.

٣٠٦ القرآن. الحج ٢١:٢٧-٢٨.

- التَّطَوُّع يَعَلِّمُ الصَّغِيرَ مَبْدَأَ التَّعَاوُنِ وَالتَّشَارِكِ مَعَ الْآخَرِينَ فِي حُدُودِ وَضُوابطِ الْاحْتِرَامِ، وَالْحَفَظَةِ عَلَى الْخُصُوصِيَّةِ، وَهَذَا مِنَ الْكِفَايَاتِ الْوِجْدَانِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَحْفَظُ الصَّغِيرُ عَلَى مَوْقِعِهِ فِي الْجَمَاعَةِ، دُونَ أَنْ تَذُوبَ الْهُويَّةَ الشَّخْصِيَّةَ.
- التَّطَوُّعُ يَبْنِي فِي شَخْصِيَّةِ الصَّغِيرِ صِفَةَ تَحْمُلِ الْمَسْئُولِيَّةِ، مَسْئُولِيَّةَ الْكَلِمَةِ وَالْفِعْلِ وَاتِّخَاذِ الْقَرَارِ، فَلَا يَصِيرُ عَالَةً عَلَى الْغَيْرِ. تَحْمُلُ الْمَسْئُولِيَّةَ يَحْتَاجُ إِلَى تَدْرِيْبٍ وَتَفَكُّيرٍ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي عَمَلٍ مَا، وَهَذِهِ مَهَارَةٌ يَنْبَغِي عَلَى الصَّغَارِ تَعَلُّمُهَا لِتَجَنُّبِ وَقُوعِ كَثِيرٍ مِنَ الْعَوَاقِبِ الْوُخِيْمَةِ الَّتِي تُوْرَثُ خِيْبَاتِ الْأَمَلِ، وَتُضْعَفُ الشَّخْصِيَّةَ. فَكِفَايَةُ تَحْمُلِ الْمَسْئُولِيَّةِ مِنَ الْكِفَايَاتِ الَّتِي تُعَلِّمُ الْاعْتِمَادَ عَلَى الذَّاتِ، وَعَدَمَ حُلُقِ الْأَعْذَارِ لِلتَّنَصُّلِ مِنَ التَّبِعَاتِ.
- التَّطَوُّعُ يَجْعَلُ الصَّغِيرَ قَادِرًا عَلَى إِدَارَةِ وَقْتِهِ بِفَاعِلِيَّةٍ، وَتَرْتِيبِ أَمْرِهِ بِحَسَبِ الْأَهْمِيَّةِ، وَتَرْتِيبِ الْأَوَّلِيَّاتِ. وَهَذَا مَا يُطَلَقُ عَلَيْهِ كِفَايَةُ إِدَارَةِ وَتَنْظِيمِ الْوَقْتِ.
- التَّطَوُّعُ يُعَلِّمُ الصَّغِيرَ لُغَةَ الْحَوَارِ وَالْإِنْصَاتِ بِاهْتِمَامٍ لِلطَّرْفِ الْآخَرَ مَعَ تَقْدِيمِ وَاجِبِ الْاحْتِرَامِ حَتَّى لِلْمُخَالَفِينَ لَهُ بِالرَّأْيِ، فَيَتَعَلَّمُ الْأَخْذَ بِالسَّبَابِ، وَالْبَحْثَ عَنِ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ.
- التَّطَوُّعُ يَعِينُ الصَّغِيرَ عَلَى اِكْتِسَابِ الْخِبْرَاتِ الْجَدِيدَةِ، وَالِاسْتِفَادَةَ مِنَ الْآخَرِينَ بَعِيدًا عَنِ التَّعَالِيِ وَالتَّجَاوِيِ.
- يُسَهِّمُ التَّطَوُّعُ فِي تَوْسِيْعِ مَدَارِكِ الصَّغِيرِ، وَتَعْمِيْقِ تَفَكُّيرِهِ خَاصَّةً عِنْدَمَا تُطْرَحُ أَمَامَهُ الْمَشْكَلَاتِ، فَيَعْمَلُ فِكْرَهُ، وَيَنْشَطُ فِي الْبَحْثِ عَنِ حُلُومِ الْأَزْمَاتِ. وَهَذَا يُدْكَي لَدَيْهِ كِفَايَةَ التَّفَكُّيرِ النَّاقِدِ، وَالتَّفَكُّيرِ التَّحْلِيلِيِّ ثُمَّ الْاسْتِنْبَاطِيِّ، وَبِالتَّالِيِ إِنْ نَجَحَ الْمُتَرَبِِّّي الصَّغِيرُ فِي إِيجَادِ حَلٍّ لِلْمَشْكَلَاتِ يَكُونُ لَدَيْهِ الْقُدْرَةُ عَلَى كِفَايَةِ الْإِبْدَاعِ وَالِابْتِكَارِ.

➤ التَّطَوُّعُ يُثْرِي مَشَاعِرَ الرَّحْمَةِ لَدَى الصَّغِيرِ، وَالِاهْتِمَامَ بِالْآخِرِ فَرْدًا وَمُجْتَمَعًا، وَيَجْعَلُهُ أَقْدَرَ عَلَى
الاعْتِدَارِ إِنْ هُوَ أَخْطَأَ، وَهَذَا مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ قُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ. فَتَعَزَّزَ لَدَيْهِ كِفَايَةُ التَّوَاصُلِ
الْبِنَاءِ مَعَ الْمَحِيطِ.

➤ التَّطَوُّعُ يَمْنَحُ الصَّغِيرَ شُعُورَ الشُّكْرِ وَالِامْتِنَانِ لِلَّهِ، وَلِلْأَهْلِ، وَلِلْمُجْتَمَعِ لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي
حُرِّمَ مِنْهَا الْبَعْضُ الْآخِرُ مِنَ الْمُنْكَوِبِينَ أَوْ الْمُبْتَلِينَ، فَبِالشُّكْرِ تَدْوِمُ النِّعَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ٣٠٧.

➤ يُعَدُّ التَّطَوُّعُ أَحَدَ الْمَارَسَاتِ الْمُهَمَّةِ فِي تَعْلِيمِ وَتَقْرِيبِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَفَاهِيمِ إِلَى أَذْهَانِ الصَّغَارِ،
وَعَرَسَهَا كَقِيمٍ حَيَاتِيَّةٍ وَمَهَارَاتٍ سُلُوكِيَّةٍ.

➤ التَّطَوُّعُ يُعَلِّمُ الصَّغِيرَ الْإِهْتِمَامَ بِالنَّفْسِ بِطَرِيقَةٍ إِبْجَائِيَّةٍ، قَادِرَةٌ عَلَى الْعَطَاءِ. فَتَرْفَعُ فِي نَفْسِهِ كِفَايَةَ
الْوَعْيِ بِالذَّاتِ.

➤ يُسَهِّمُ التَّطَوُّعُ فِي إِحْدَاثِ التَّوَاظُنِ فِي شَخْصِيَّةِ الصَّغِيرِ عَنْ طَرِيقِ إِشْبَاعِ الْإِحْتِيَاجَاتِ النَّفْسِيَّةِ
مِثْلَ الْحَاجَةِ إِلَى التَّقْدِيرِ وَالْحُبِّ وَالِاحْتِرَامِ.

٢٠٥ الخِلاصة

لقد اتضح مما تمَّ طرحه في هذا الفصل مدى أهمية قيمة التطوع وما لها من تأثير عميق في بناء
شخصية الصغار من نواحٍ مختلفة إذا ما تمَّ اعتمادها ركيزةً من ركائز بناء الشخصية لتكوين الفرد الصالح،
صاحب الخلق الرّاقى، والتفاعل الإيجابي، وكيف أنَّ عرس القيم في مرحلة الطفولة يُثمر نُضجاً، واعتدالاً
وتوازناً في الفكر، والوجدان، والسلوك. ويكسب المتربي الصغير عدداً من الكفايات التي يجب أن يتسلح

بها لتمكينه من العيش بحريّة، وثقة، ومسؤوليّة، وتمسكٍ بالهويّة الإيمانيّة، والوطنية، وكذلك التعامل مع وتيرة

التغيّرات المتلاحقة التي يعيشها العالم في مجال العلوم والمعرفة والتّقنية.

وكلّما كانت عناية المرّيين بهذا الغرس أكّد، وحرصهم أعمق كان المردود أفضل، والفائدة أشمل،

حيث تتفوّى اللّحمة بين أفراد المجتمع، ويتعزّز التكافل ليغطّي احتياجات الأفراد في مختلف المجالات.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلاميّة
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA